

قراءة في الأبعاد المعرفية والسلوكية لركن الإيمان بالملائكة

Reading in

Cognitive and behavioral dimensions of Corner of Faith in angels

د. محمود بطل محمد أحمد

الأستاذ المساعد بجامعة الشارقة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (الإمارات)

Mahmoud.ahmed@sharjah.ac.ae

تاريخ النشر: 2024/12/31

تاريخ القبول: 2024/03/18

تاريخ الاستلام: 2023/02/18

ملخص:

يأتي هذا البحث ليعالج مفردةً من مفردات المرتكز الغيبي وهي الإيمان بالملائكة كاشفاً عن الأبعاد المعرفية والسلوكية، ويهدف إلى بيان عِظَم منهجية الوحي الإلهي في ذكر القضايا العقدية، والكشف عن العلاقة بين الإيمان بالملائكة والتأصيل المعرفي للمنهج الإسلامي، وبيان الارتباط بين الإيمان بالملائكة والوعي بالسنن الإلهية، ثم تحليل الأبعاد السلوكية للإيمان بالملائكة.

وقد خلص البحث إلى العديد من النتائج منها أن عرض الأبعاد المعرفية للقضايا العقدية يُعَدُّ برهاناً على انعدام إشكالية الدين والعلم، وأنه حين كانت الكتابة تمثل ركناً ركيناً في بنية المعرفة فإننا وجدنا ذكر الملائكة في القرآن والسنة لم يخل من إشارة إلى هذه المفردة المعرفية، وأنه ينبغي أن نقرأ إكثار الوحي الإلهي من ذكر الارتباط بين الملائكة وأدوات المعرفة في إطاره العام حيث كانت هناك ندرة في الإطار المعرفي قبل الإسلام ليس لدى الأمة العربية فحسب بل لدى الأمم جمعاء، ومن هذه النتائج أيضاً أن قضية الإيمان بالملائكة تندرج ضمن القضايا التي تبرهن على عدم انحصار المعرفة في العقل أو الحس، وأننا حين نتأمل حديث الوحي الإلهي عن الملائكة نجد أن تقرير السنن الإلهية كان إحدى أبرز الدلالات التي يمكن أن تستنبط منه، وأن الأبعاد السلوكية المتعلقة بالملائكة في ضوء الوحي الإلهي أبعاد تلمس العديد من أوجه الحياة الإنسانية وتأخذ حيزاً لا يمكن إغفاله من التأصيل الأخلاقي العام الذي جاء به الإسلام.

الكلمات المفتاحية: المعرفة، السلوك، الإيمان، الملائكة.

Abstract:

This research comes to address one of the unseen anchor vocabulary, which is belief in angels, revealing the cognitive and behavioral dimensions, and with the aim of clarifying the greatness of the methodology of divine revelation in mentioning doctrinal issues, and revealing the relationship between belief in angels and the cognitive rooting of the Islamic approach.

The research concluded many results, including that presenting the cognitive dimensions of our doctrinal issues is proof of the absence of the problematic of religion and science, and that when writing represented a pillar in the structure of knowledge, we found that the mention of angels in the Qur'an and Sunnah was not devoid of a reference to this cognitive term, and that it should To read the increase in the divine revelation in mentioning the connection between the angels and the tools of knowledge in its general framework, as there was a scarcity in it

The pre-Islamic knowledge framework is not only for the Arab nation, but for all nations

Among these results also is that the issue of belief in angels falls within the issues that prove that knowledge is not confined to reason or sense. and that when we contemplate the divine revelation talk about angels, we find that the statement of divine laws was one of the most prominent indications that can be deduced from it.

Keywords: knowledge - behavior - Faith – angels .

1 . مقدمة

إن الناظر إلى هذا الدين بمرتكزاته العقدية والتشريعية والقيمية يجد نفسه أمام أمور ثلاثة تصلح منطلقا لهذا البحث، وهي:

الأمر الأول: أن مسيرة انتشار هذا الدين في الآفاق تعد حدثا فريدا يستوجب تحليلا دقيقا لجميع مظاهره ومفرداته.

الأمر الثاني: أن المكون العقدي شكل حجر الزاوية في هذا الانتشار حيث مثل في جوهره ومظهره مكنن التمايز بين هذا الدين وما سواه.

الأمر الثالث: أن التراجع الحضاري الذي أصاب الأمة رغم تشعب أسبابه إلا أنه لا يمكن النظر إليه بمعزل عن استيعاب الأمة لمفردات القوة الذاتية لهذا الدين، والذي يشكل المكون العقدي أعظمها.

إننا في إطار الحقائق الثلاث هذه يتوجب علينا البحث في القضايا الدينية بحثاً يتتبع أبعادها المختلفة للتوصل إلى الصورة الكلية لشمولية هذا الدين من ناحية ووضع آليات فاعلة لتوظيف هذه الأبعاد في حل الأزمة الحضارية الراهنة التي تحيها الأمة من ناحية أخرى.

إننا بحاجة ماسة إلى توسيع أفق القراءة لهذه الأبعاد للتمكن من التعاطي مع قضاياها؛ ذلك وكشف أوجه الاتصال بينها وبين الواقع الإنساني على اختلاف أنماطه وتعدد مجالاته خاصة وأنه واقع إنساني معقد أضحى فيه عرض الأفكار والرؤى والفلسفات أسهل من أي وقت مضى مما يحتم جهدا مضاعفا في استيعاب أبعاد القضايا الدينية كما أصل لها الوحي الإلهي من جهة والبحث عن آفاق لتقريبها لإنسان اليوم من جهة أخرى.

من هنا يأتي هذا البحث ليعالج مفردة من مفردات المكون العقدي وهي الإيمان بالملائكة كاشفاً عن الأبعاد المعرفية والسلوكية التي أصل لها الوحي الإلهي في ذكره لهذا الركن من أركان الإيمان، كل ذلك ضمن سياق فكري عام يستبطن إشكاليات الواقع الإنساني المعاصر، وجعلت عنوانه: (قراءة في الأبعاد المعرفية والسلوكية لركن الإيمان بالملائكة)

مشكلة البحث:

مع عِظَم ركن الإيمان بالملائكة ومحوريته في البناء العقدي إلا أن الكشف عن أبعاده المعرفية والسلوكية وآليات توظيفها يحتاج إلى مزيد من بذل الطاقة التدبيرية للوقوف على معطيات الوحي الإلهي المؤسسة لهذه الأبعاد؛ لذا يمكن تلخيص إشكالية البحث في كونه يجيب عن التساؤلات التالية:

ما هي الأبعاد المعرفية لركن الإيمان بالملائكة؟

ما هي الأبعاد السلوكية لركن الإيمان بالملائكة؟

كيف يمكن الربط بين هذه الأبعاد وبين الواقع الفكري والثقافي للأمة؟

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

- 1 - بيان عِظَم منهجية الوحي الإلهي في ذكر القضايا العقديّة.
- 2 - الكشف عن العلاقة بين ركن الإيمان بالملائكة والتأصيل المعرفي للمنهج الإسلامي.
- 3 - بيان الارتباط بين ركن الإيمان بالملائكة والوعي بالسنن الإلهية.
- 4 - الرد على الشبهات المثارة حول المرتكز الغيبي ودوره في التزقي الحضاري.

الدراسات السابقة:

يُعدُّ تراكم الدراسات البحثية حول قضية ما دلالةً على محوريتها وتعدد جوانبها، ورافدًا لا غنى عنه لمن أراد أن يوسع من دائرة البحث ويتطرق إلى بُعد جديد من أبعادها، وقد تعددت الدراسات المتعلقة بالملائكة، ومنها ما يلي:

- 1 - دراسة بعنوان (الإيمان بالملائكة عليهم السلام، صفاتهم، أصنافهم، وظائفهم، مواقفهم)، عبد الله سراج الدين، (1972م)، وكما يظهر من العنوان فإنها تعد دراسة وصفية تأصيلية لبعض من القضايا المتعلقة بالملائكة.
- 2 - دراسة بعنوان (الملائكة والإيمان بهم)، ناجي محمد داود، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، (1401هـ - 1402هـ)، وقد تحدث فيه الباحث عن الملائكة في كتب أهل الكتاب، ثم في تصور الفلاسفة، ثم في التصور الإسلامي من وجوب الإيمان بهم ووظائفهم وعصمتهم.
- 3 - دراسة بعنوان (الملائكة والجن دراسة مقارنة في الديانات السماوية الثلاث، اليهودية، النصرانية، الإسلام) مي بنت حسن محمد الدهون. جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، (1429هـ - 1430هـ)، وهي دراسة مقارنة لكل من الملائكة والجن في الديانات السماوية الثلاث (اليهودية، النصرانية، الإسلام) كاشفًا عن أوجه التمايز.

ما تفردت به دراستي عن الدراسات السابقة

- 1 - أنها دراسة تركز على أبعاد بعينها، وهي الأبعاد المعرفية والسلوكية.
- 2 - أنها تعالج هذه الأبعاد من منظور يستبطن معطيات الواقع الدعوي المعاصر، ويبحث في آثار تفعيلها من خلال خطاب ديني مستنير.

3 - أنها تعطي أنموذجاً عاماً للمركز الغيبي وارتباطاته.

منهج البحث: وقد استعملت في هذا البحث منهجين، هما: المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي.

خطة البحث: جعلت هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث على النحو التالي:

المقدمة: وبينت فيها أهمية البحث، ومشكلته، وأهدافه، ومنهجه، وخطته.

التمهيد: مفهوم الملائكة

المبحث الأول: الإيمان بالملائكة ومحوريته في البناء العقدي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الإيمان بالملائكة

المطلب الثاني: محورية الإيمان بالملائكة في البناء العقدي

المبحث الثاني: الأبعاد المعرفية للإيمان بالملائكة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تقرير مكانة العلم والمعرفة.

المطلب الثاني: محورية الوعي بالسنن الإلهية.

المبحث الثالث: الأبعاد السلوكية للإيمان بالملائكة، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تأسيس آليات فعالة لترشيد العلاقات الإنسانية.

المطلب الثاني: تقرير مبدأ المسؤولية بأنماطه القيمية.

المطلب الثالث: تقرير وسيلتي الترغيب والترهيب بتأثيراتهما التربوية.

المطلب الرابع: تنوع مصادر المعرفة وشموليتها.

ترسيخ أساس الاقتداء بمحوريته التربوية.

تمهيد: التعريف بالملائكة

يعد الوعي بالمفاهيم أولى خطوات البحث العلمي حول قضية ما؛ ذلك لأنه يعطي صورة أولية لهذه القضية يمكن على أثرها تتبع أبعادها المختلفة، وهذه إطلالة على مفهوم الملائكة:

- الملائكة لغة:

إن البحث في الجذر اللغوي لأي من المفاهيم يظهر لنا دائرة من دوائر التطور في دلالة هذا المفهوم. وحين رجعنا إلى دواوين اللغة وجدنا أن كلمة الملائكة جمع ملك، وأصله ملك، والألوك: الرسالة كالمألكة⁽¹⁾.

وقيل: هو مأخوذ من "الملِك" بفتح الميم وسكون اللام: وهو الأخذ بقوة، وقيل: من "الملِك"، بالكسر لأن الله تعالى قد جعل لكل مَلِكٍ مَلَكًا، فَمَلِكُ الموت قبض الأرواح، ومَلِكُ إسرَافيل الصور، وكذا سائرهم، ويفسد هذا قولهم: ملائكة بالهمزة ولا أصل له على هذا القول في الهمزة، وقد جاء الملك جمعًا كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ (الحاقة: 17)⁽²⁾.

ويظهر من خلال هذا الطرح رجحان القول الأول، وهو اشتقاق الملائكة من معنى الرسالة.

- الملائكة في الاصطلاح

إن هناك تعريفات عدة للملائكة في الاصطلاح، وينبغي أن نقرر هنا أن الاختلاف في تحديد مفهوم الملائكة ينبع من كونه مفهومًا ينتمي إلى السمعيات التي لا مجال للعقل في الكشف عن كنهها. من هذه التعريفات أنها أجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل بأشكال مختلفة مسكنها السماوات.

ومنها أنها جوهر بسيط ذو نطق وعقل مقدس عن ظلمة الشهوة وكدورة الغضب.⁽³⁾

المبحث الأول: مفهوم الإيمان بالملائكة ومحوريته في البناء العقدي

المطلب الأول: مفهوم الإيمان بالملائكة

قال البيهقي: والإيمان بالملائكة ينتظم معاني:

أحدها: التصديق بوجودهم.

والآخر: إنزالهم منازلهم، وإثبات أنهم عباد الله، وخلقه كالإنس والجن، مأمورون مكلفون لا يقدرُونَ إلا على ما قدرهم الله تعالى عليه، والموت عليهم جائز، ولكن الله تعالى جعل لهم أمدًا بعيدًا، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى جده، ولا يدعون آلهة كما ادعتهم الأوائل.

والثالث: الاعتراف بأن منهم رسلاً لله يرسلهم إلى من يشاء من البشر، وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض، ويتبع ذلك الاعتراف بأن منهم حملة العرش، ومنهم الصافون، ومنهم خزنة الجنة، ومنهم خزنة النار، ومنهم كتبة الأعمال، ومنهم الذين يسوقون السحاب، وقد ورد القرآن بذلك كله، أو بأكثره.⁽⁴⁾

إننا حين نتأمل ما ذكره البيهقي يتضح لنا عدة أمور:

- أن مفهوم كمال الإيمان بالملائكة يتسع ليشمل كلا من التصديق القلبي وانضباط الملكة البيانية في وصفهم.
- أن مفهوم الإيمان بهم يصحح النزعات الإنسانية الباطلة في جعلهم آلهة أو بنات لله كما اعتقد بعض المشركين.
- أن المصدر الوحيد لمعرفة هذا العالم الغيبي إنما هو الوحي الإلهي، فليست معرفة تفاصيل هذا العالم مجالا من مجالات العقل، بل إن دور العقل يتمثل في تدبر حديث الوحي الإلهي عنهم محاولا استنباط الأبعاد المختلفة التي يؤصل لها.

إن ما رأيناه من اتساع مفهوم الإيمان بالملائكة يمهد للنقطة التالية وهي محوريته العظيمة في البناء العقدي.

المطلب الثاني: محورية الإيمان بالملائكة في البناء العقدي

أولاً: يمثل الإيمان بالملائكة ركناً من أركان الإيمان وضرورة من ضروراته كما قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ (البقرة: 285)

قال الرازي: اعلم أن هذه الآية دلت على أن معرفة هذه المراتب الأربعة من ضرورات الإيمان.⁽⁵⁾

ثانياً: أن الكفر بالملائكة هدم للمكون العقدي بأكمله مثله مثل الكفر بأي من أركان الإيمان.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: 136)

قال أبو حيان: "جواب الشرط ليس مترتباً على الكفر بالمجموع، بل المعنى: ومن يكفر بشيء من ذلك." ⁽⁶⁾

ثالثاً: أن الإيمان بالملائكة يستلزم الإيمان بالأنبياء والكتب المنزلة عليهم حيث بيّن سبحانه وتعالى أنه إنما يوحى إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بواسطة الملائكة، فقال: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (التخل: 2)، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنََّّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ (الشورى: 51)، وقال: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة: 97]، فإذا ثبت أن وحي الله تعالى إنما يصل إلى البشر بواسطة الملائكة، فالملائكة يكونون كالواسطة بين الله تعالى وبين البشر، فلهذا السبب جعل ذكر الملائكة في المرتبة الثانية.⁽⁷⁾

رابعاً: يأتي الإيمان بالملائكة وفق المنهج الإسلامي ليكون مفردة من مفردات الإصلاح العقدي الذي جاء به الإسلام؛ حيث كانت هناك تصورات منحرفة حول الملائكة كتصور طوائف من عبدة الأوثان وزعمهم أن الملائكة هي هذه الكواكب الموصوفة بالإسعاد والإنحاس فإنها بزعمهم أحياء ناطقة، وأن المسعادات منها ملائكة الرحمة والمنحسات منها

ملائكة العذاب، وكتصور معظم الجحوس والثنوية من أن هذا العالم مركب من أصلين أزليين وهما النور والظلمة، وأن جوهر النور لم يزل يولد الأولياء وهم الملائكة لا على سبيل التناكح بل على سبيل تولد الحكمة من الحكيم والضوء من المضيء، وجوهر الظلمة لم يزل يولد الأعداء وهم الشياطين على سبيل تولد السفه من السفه لا على سبيل التناكح.⁽⁸⁾

إن هذه التصورات تنتمي لثلة التصورات الباطلة التي كانت سائدة عند مجيء الإسلام؛ لذا كان بيانه لهذا الركن من أركان الإيمان عنصراً من عناصر الإصلاح العقدي الذي قابل به الإسلام ما لدى الأمم من ميراث يقلد فيه اللاحق السابق تقليداً أعمى.

وإذا كان للإيمان بالملائكة كل هذه المحورية العقدية فإن ذلك من محتمات البحث عن جميع أبعاده، ومنها الأبعاد المعرفية، وذلك يتأتى في المطلب التالي.

المبحث الثاني: الأبعاد المعرفية للإيمان بالملائكة

تعد الأبعاد المعرفية للقضايا العقدية إحدى أبرز الأبعاد التي يحتاجها الواقع الفكري والثقافي، وذلك للنقاط التالية:

1 - أن عرض هذه الأبعاد يعد عرضاً لمظهر من أهم مظاهر القوة الذاتية للمركز العقدي، تلك القوة الذاتية التي كانت العامل الحاسم في نشر الإسلام، فالإسلام لم ينتشر في الآفاق إلا نظراً لعظم المكون العقدي والعبادي والأخلاقي الذي يميزه عن سواه.

والواقع الدعوي المعاصر في أمس الحاجة إلى التركيز على مظاهر القوة الذاتية تلك لتستطيع الدعوة مواجهة التحديات المعرفية المتضخمة كما وكيفا.

2 - أن عرض الأبعاد المعرفية لقضايانا العقدية يبرهن على انعدام إشكالية الدين والعلم في هذا الدين، تلك الإشكالية التي برزت في التاريخ الفكري لبعض الأديان، وأضحت تمثل الحجة في تهميش الإطار الديني.

3 - أن عرض هذه الأبعاد المعرفية يعطي الخطاب الدعوي المعاصر زادا من الموضوعات الدعوية التي تلبي الدعوات المنضبطة للتجديد الديني؛ إذ لا تجديد دون أن تأخذ القضايا المعرفية بارتباطاتها العقدية مكانها اللائق بها.

والمتمامل للوحي الإلهي في ذكره للملائكة يدرك العديد من الدلالات ذات البعد المعرفي، والتي تدخل ضمن المنهجية المعرفية العامة للإسلام، ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

المطلب الأول: تقرير مكانة العلم والمعرفة

لقد تنوعت منهجية الوحي الإلهي في تقريره لقيمة العلم ومكانة المعرفة، ولعل هذا التنوع ناشئ من انحسار هذه القيمة في البيئة العربية قبل الإسلام، فأراد الإسلام أن ترسخ في أذهان أتباعه هذه القيمة حتى تمثل البداية الحقيقية للانطلاقة الحضارية التي سعى لتأسيسها، وكان من بين هذه الآليات ربط القضايا العقدية بهذا المنحى المعرفي، ويمكن تلخيص الارتباط بين ذكر الملائكة في القرآن الكريم وقيمة العلم من خلال ما يلي:

(أ) - ذكر القرآن أن تفضيل آدم عليه السلام على الملائكة إنما كان من خلال فضل العلم الذي علّمه الله إياه كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَتَشْكُرُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: 31).

وقد بين الرازي أن في هذه الآية دلالة على مكانة العلم لأنه تعالى لم يظهر حكمته في خلق آدم عليه السلام سوى من خلال بيان علمه⁽⁹⁾.

(ب) - حين كانت الكتابة تمثل ركناً ركيناً في بنية المعرفة فإننا وجدنا ذكر الملائكة في القرآن والسنة لم يخل من إشارة إلى هذه المفردة المعرفية حيث إن من وظائف الملائكة التي نص عليها الوحي الإلهي كتابتهم لأعمال العباد كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الانفطار: 10-12).

وقد ذكر ابن كثير أن العلماء اختلفوا هل الملك يقوم بكتابة كل كلام كما ذهب إليه الحسن وقتادة، أم إنه يكتب فقط ما كان فيه ثواب وعقاب كما قاله ابن عباس، ورجح ابن كثير الأول لعموم قوله سبحانه: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: 18) ⁽¹⁰⁾

وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ (القمر: 52)

قال الرازي: " الزبر هي كتب الكتبة الذين قال تعالى فيهم: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ۝١١ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٢ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ (الانفطار: 9-11) ⁽¹¹⁾

ويأتي مفهوم الاستنساخ ليكون إحدى المفاهيم المعرفية التي ذكرت مرتبطة بالملائكة كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الحج: 29)

قال ابن عباس نعم، الملائكة يستنسخون أعمال بني آدم ⁽¹²⁾.

وقال علي عليه السلام: "إن لله ملائكة ينزلون كل يوم بشيء يكتبون فيه أعمال بني آدم، وقال ابن عباس: إن الله وكل ملائكة مطهرين فينسخون من أم الكتاب في رمضان كل ما يكون من أعمال بني آدم فيعارضون حفظة الله على العباد كل خميس، فيجدون ما جاء به الحفظة من أعمال العباد موافقا لما في كتابهم الذي استنسخوا من ذلك الكتاب لا زيادة فيه ولا نقصان. قال ابن عباس: وهل يكون النسخ إلا من كتاب" ⁽¹³⁾.

ولم تغب دلالة هذه الآيات على إصلاح الواقع المعرفي الإنساني عند العلماء فوجدنا أن الرازي استنبط من وصف الملائكة بالكتابة ثم العلم أن في هذا تنبيه على أن الإنسان لا يجوز له أن يشهد إلا بعد أن يعلم ⁽¹⁴⁾.

وأتى التأكيد في المنهج النبوي على تجذر العلاقة بين أعمال الملائكة وبين المجال المعرفي من خلال كتابتهم للمبكرين إلى الجمعيات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول، ومثل المهجر كمثل الذي يهدي بدنة، ثم كالذي يهدي بقرة، ثم كبشا، ثم دجاجة، ثم بيضة، فإذا خرج الإمام طووا صحفهم، ويستمعون الذكر» ⁽¹⁵⁾.

وانطلاقاً مما أسسه الوحي الإلهي من تقرير الكتابة كمفردة معرفية لا غنى عنها في انضباط المعرفة الإنسانية وجدنا في التاريخ المعرفي الإسلامي دلائل على محورية هذه المفردة في انطلاق المعرفة الإنسانية، فقد قال أبو صالح الفراء، سألت ابن المبارك عن كتاب الحديث، فقال: «لولا الكتاب ما حفظنا»⁽¹⁶⁾.

وقال الربيع: خرج علينا الشافعي ذات يوم ونحن مجتمعون فقال لنا: «اعلموا رحمكم الله أن هذا العلم يند كما تند الإبل، فاجعلوا الكتب له حمة والأقلام عليه رعاة»⁽¹⁷⁾.

وكان الاستدلال بما أخبر به الوحي الإلهي في شأن الكتابة حاضرًا لدى رواد المنهج المعرفي الإسلامي، فعن أبي المليح الرقي قال: "يعيرون علينا أن نكتب العلم وندونه، وقد قال الله تعالى: «قَالَ عَلَّمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ»⁽¹⁸⁾.

(ج) أتى ذكر الملائكة في سياق الحديث عن فضل العالم والمتعلم كما في حديث: "من سلك طريقًا يطلب فيه علما سلك الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم"⁽¹⁹⁾.

وقد أوضح ابن القيم أن فعل الملائكة ذلك من باب التواضع لطالب العلم والتوقير والإكرام له؛ لأنه يحمل ميراث الأنبياء ويطلب ما فيه الحياة والنجاة للعالم؛ لذا فهو يتشبه بالملائكة من هذه الناحية ويتناسب معهم؛ حيث إن الملائكة أنفع الخلق وأنصحهم للبشر، ويحصل على أيديهم كل هدى وعلم وسعادة⁽²⁰⁾.

وكان ما قرره القرآن في هذه النقطة إحدى الدلائل التي استدل بها رواد الفكر التربوي الإسلامي، فذكر أبو حاتم أن العاقل يجب عليه بعد الفراغ من تقويم سيرته أن يعطف بطلب العلم والحرص عليه؛ ذلك لأن المرء لن يصل إلى أي من أسباب هذه الحياة سوى بصفاء العلم، ومن مقتضيات العقل أن الإنسان لا يفرط في المضي في سبيل يوجب له أن تبسط الملائكة له أجنحتها رضا بما يصنع⁽²¹⁾.

وحين كان التفكير في ثمرة الشيء إحدى أعظم الآليات في التعلق به وحمل النفس عليه فإن الغزالي أشار إلى أن من ثمرات العلم أن يقترب الإنسان من الله تعالى، وأن يلتحق بأفق ملائكته، وأن يقارن الملائكة الأعلى⁽²²⁾.

إننا ينبغي أن نقرأ إكثار الوحي الإلهي من ذكر الارتباط بين الملائكة وأدوات المعرفة في إطاره العام حيث كانت هناك ندرة في الإطار المعرفي قبل الإسلام ليس لدى الأمة العربية فحسب بل لدى الأمم جمعاء من اليونان والرومان والفرس وغيرهم وإن كانت الأمة العربية قد كان لها نصيب كبير من هذه الندرة⁽²³⁾.

إن معنى هذا أن الوحي الإلهي كان يؤكد على قيمة المعرفة ليغير الواقع الإنساني تجاه هذه الآلية المعرفية، وهذا ما حدث بالفعل إذ انطلقت الحضارة الإسلامية مستثارة بهذا التأكيد المتوالي على قيمة العلم، وامتدت آفاق المعرفة الإنسانية إلى دراسة الوجود الإنساني والكوني، وتغير التاريخ المعرفي الإنساني بشكل عام من خلال الاحتكاك المباشر أو غير المباشر بالحضارة الإسلامية، وهذا يجعلنا على يقين بأن اتساع الأفق المعرفي الذي يعتز به العالم المعاصر كان للإسلام بمنهج المعرفي فيه النصيب الأكبر.

"لقد أوقد الإسلام في نفوس العرب شعلة هذا الحماس العلمي والفلسفي بما فرض عليهم من نظر في الوجود وفي أنفسهم ليعرفوا مبدأهم ومصيرهم، ويكيفوا سلوكهم في الحياة على أساس من هذه المعرفة، وليعرفوا مبدأ الكون ونهايته فيكيفوا صلتهم بموجده على أساس من هذه المعرفة"⁽²⁴⁾.

ولم تنحصر الدلالات المعرفية للإيمان بالملائكة في تقرير مكانة المعرفة، بل امتدت إلى أبعاد متعددة منها تأسيس تنوع المصادر المعرفية في الإسلام، وسنكشف عن ذلك من خلال المطلب التالي.

المطلب الثاني: تأسيس مبدأ تنوع مصادر المعرفة

لا شك أن من أبرز التحديات التي تواجه انتشار الدعوة الإسلامية في الواقع المعاصر تغلغل الفكر المادي بأنماطه الفكرية المختلفة وسيطرته على منافذ الفكر الإنساني، وليست الإشكالية التي يحملها هذا الفكر اعتماده على المادة أو الحس كمصدر من مصادر المعرفة بل تكمن إشكاليته الكبرى في انطلاقه من أحادية معرفية تهمش بقية المصادر المعرفية التي قررها الإسلام.

من هنا فإن الدعوة إلى الله يقع على عاتقهم مسؤولية كبيرة تجاه هذا التحدي، ويمكن تلخيص مفردات هذه المسؤولية فيما يلي:

1 - تقرير الرؤية الإسلامية لمصادر المعرفة، وبيان تنوعها ما بين الوحي الإلهي والعقل والحس الإنسانيين.

2 - إيضاح أوجه العلاقة بين المصادر المعرفية المختلفة.

3 - بيان الخلل المنهجي في الرؤية الأحادية لمصادر المعرفة والتي تبنتها مذاهب فلسفية متعارضة.

إن تحقيق هذه الثلاثية مرتحن بوجود وعي متكامل بقضية المعرفة في الإسلام ترتسم فيه القضايا الإسلامية عقدية كانت أم تشريعية أم أخلاقية في إطار متكامل لا مجال فيه لأي من التعارض.

من هنا فإن قضية الإيمان بالملائكة تندرج ضمن القضايا التي تبرهن على عدم انحصار مصدرية المعرفة في العقل أو الحس؛ فالإيمان بالملائكة يُعدُّ في التصور الإسلامي مفردة من مفردات الإيمان بالغيب، وقد فُسِّر الغيب في قول جمهور المفسرين بأنه ما كان غائباً عن الحاسة⁽²⁵⁾.

وحين ذكر الرازي مراتب الملائكة وأن منهم الحافين حول العرش، ومنهم حملة العرش، ومنهم الأرواح المقدسة عن التعلقات بالأجسام وهم الذين طعامهم ذكر الله، وشرابهم محبة

الله، وأنسهم بالثناء على الله، ولذتهم في خدمة الله يَبَيِّنُ أن العقول البشرية قاصرة عن الإحاطة بأحوالها، والوقوف على شرح صفاتها⁽²⁶⁾.

وبَيَّنَّ الرازي في موضع آخر من تفسيره أن المغيبات لا طريق لمعرفة سوى بتعليم الله سبحانه، وأنه لا يمكن أن يتوصل إليها بعلم الكهانة والنجوم والعرافة، ويدل عليه قوله جل ذكره: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام: 59)، وقوله: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ) (الجن: 26-27).⁽²⁷⁾

وبَيَّنَّ الرازي كذلك أن ما ثبت عن طريق السمع ليس وجوده كوجود ما ثبت عن طريق العقل أي أنه لا يترتب محال عقلي على عدم وجود هذه السمعيات كالأنبياء كما يترتب ذلك على عدم وجود الله إلا إن قلنا إنه يكون محالاً بالواسطة لأنه يلزم منه الكذب في إخباره تعالى⁽²⁸⁾.

وحين نعي القرآن الكريم على من اختلَّ لديه التمييز بين مصادر المعرفة فتكلم في الأمور الغيبية دون استناد إلى مصدرها المعرفي كان وصف الملائكة بالأنوثة صورة من الصور التي ذكرها الإسلام لهذا الخلل، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَكَّتُ شَهِدَتْهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ (الرَّحُف: 19)

قال الرازي: "هذا استفهام على سبيل الإنكار، يعني أنهم لم يشهدوا خلقهم، وهذا مما لا سبيل إلى معرفته بالدلائل العقلية، وأما الدلائل النقلية فكلها مفرعة على إثبات النبوة، وهؤلاء الكفار منكرون للنبوة، فلا سبيل لهم إلى إثبات هذا المطلوب بالدلائل النقلية، فثبت أنهم ذكروا هذه الدعوى من غير أن عرفوه لا بضرورة ولا بدليل⁽²⁹⁾.

وحين استعرض الأصفهاني أسباب الوهم الفاسد ذكر أن منها الجهل بحقائق الأشياء والوقوع في وهم فاسد كاعتقاد كثير من الناس اعتقادات فاسدة في الملائكة والجن والشياطين والجنة والنار والميزان والصراط والكُرسي

المطلب الثالث: تقرير الوعي بالسنن الإلهية

تنوعت مظاهر التنكر للسنن الإلهية في هذا العصر ما بين لوثات فكرية تريد أن تصنف المخلوقات في إطار وحدوي، ومناخ تخالف السنة الإلهية في الطبيعة البشرية ومقتضياتها.

إن هذا التنكر للسنن الإلهية يتطلب وعياً مقابلاً من قبل الدعاة إلى الله بالسنن الإلهية حتى يتمكنوا من أمرين:

الأمر الأول: ترشيد الواقع الإنساني.

الأمر الثاني: مواجهة النزعات الفكرية والمناحي السلوكية التي تخالف هذه السنن.

وحين نتأمل حديث الوحي الإلهي عن الملائكة نجد أن تقرير السنن الإلهية كان إحدى أبرز الدلالات التي يمكن أن تستنبط منه حيث قرر اختلاف أصل الخلق الملائكية عن أصل الخلقة البشرية كما نص عليه قوله ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وَصَفَ لَكُمْ» (30).

ومعنى من نور: أي من جواهر مضيئة نيرة فكانت خيراً محضاً (31).

وأشار القرآن إلى مظهر آخر من مظاهر اختلاف الخلقة الملائكية أيضاً في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فاطر: 1). (1)

قال قتادة: بعضهم له جناحان، وبعضهم ثلاثة، وبعضهم أربعة، ينزلون بهما من السماء إلى الأرض، ويعرجون من الأرض إلى السماء، وهي مسيرة كذا في وقت واحد (32).

وتظهر العلاقة بين ذكر القرآن الكريم لخصائص الخلقة الملائكية وبين تقريره للوعي بالسنن الإلهية في قوله تعالى بعدها ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ حيث بين القرطبي أن هذه الزيادة ليست خاصة بالملائكة بل هي سنة إلهية عامة تتناول كل زيادة في الخلق، من اعتدال في الصورة، وطول في القامة، وكمال في الأعضاء، وشدة في البطش،

وفطنة في العقل، وقوة في الرأي، وشجاعة في القلب، وكرم في النفس، وفصاحة في اللسان، وبلاغة في التكلم، وما يشبه ذلك مما لا يحصره وصف⁽³³⁾.

ويقرر القرآن الكريم أن هذا الخلق العجيب - أعني الملائكة - يعد مظهرًا من مظاهر القدرة الإلهية كما نبهه في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (تفسير الرازي آية 18)، حيث جاء عن عبد الله أنه قال: «رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح»⁽³⁴⁾.

ويقرر الغزالي أن خلقة الملائكة تخالف خلقة الإنس، فالملك وجداني في صفته لا تركيب فيه ولا خلط، فلا يقع بينهم تنافس أو تقابل بخلاف الإنسان والذي تختلف دواعيه وصفاته لأنه ليس وجدانياً في صفته، ولذلك نشاهد الإنسان مرة يطيع الله ومرة يعصيه، وذلك لاختلاف صفاته ودواعيه، وهذا لا يمكن في الملائكة لاختلاف طباعهم؛ حيث إنهم بل محبوبون على طاعة الله⁽³⁵⁾.

وقد جعل الرازي عدم الوعي بالسنن الإلهية في اختلاف الخلق علامة من علامات اختلال الملكة العقلية وغياب الإنصاف العلمي، وذلك في معرض رده على من استشكل كون الملائكة لا تفتر عن التسبيح مع قيامهم بما وكلوا به من الأعمال.

يقول الرازي: " لا يجب على العاقل المنصف أن يقيس أحوال الملائكة في صفاء جوهرها وإشراق ذواتها واستغراقها في معارج معارف الله بأحوال البشر، فإن بين الحالتين بعد المشركين⁽³⁶⁾."

وحين كان من خصائص الطبيعة الملائكية قدرتهم على التشكل بالأشكال الحسنة المختلفة فإن لذلك دلالة على عظم السنن الإلهية، لذلك وروى البخاري أن جبريل أتى النبي ﷺ وعنده أم سلمة، فجعل يتحدث، فقال النبي ﷺ لأم سلمة: «من هذا؟» أو كما قال، قالت: هذا دحية، فلما قام، قالت: والله ما حسبته إلا إياه، حتى سمعت خطبة النبي ﷺ يخبر خبر جبريل⁽³⁷⁾.

وقد بين ابن حجر أن في هذا الحديث دلالة على أن الملك يمكنه أن يأتي على صورة البشر مع أن له صورة خاصة به لا يمكن للآدمي أن يشاهده فيها لعدم تهيأ القوى الإنسانية سوى من أراد الله أن يجعل له قوة على ذلك، لذا كان جبريل غالباً يأتي إلى الرسول ﷺ في صورة البشر، ولم يشاهده على الصورة التي خلقه الله عليها سوى مرتين⁽³⁸⁾.

وعن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «أُذِنَ لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مائة عام»⁽³⁹⁾.

ودلل الرازي على عظيم قدرة الملائكة من وجوه:

الأول: أن منهم حملة للعرش وهم ثمانية وظيفتهم حمل العرش والكرسي، والكرسي أعظم من جملة السماوات السبع مع أنه أصغر من العرش لقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (البقرة: 255)، فتدبر عظيم قوتهم وقدرتهم.

الثاني: لشدة قدرة الملائكة ينزلون من العرش في لحظة واحدة مع أن علوه أمر لا يحيط به وهم كما يشير إل ذلك قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: 14)

الثالث: قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (الزمر: 68)، فقوة فصاحب الصور تبلغ إلى درجة نفخة واحدة منه يصعق بها من في السماء والأرض، ثم بنفخة ثانية منه يرجعون أحياء. فدل ذلك على عظم هذه القوة.

الرابع: أن قوة جبريل عليه السلام بلغت إلى أن استطاع قلع بلاد آل لوط دفعة واحدة.⁽⁴⁰⁾

إن الوعي بالسنن الإلهية ليس بعيداً عن استكشاف أسرار الإنسان والبحث في خصائصه لمعرفة العلاقة بين توجيهات الوحي الإلهي وهذه الخصائص الإنسانية من ناحية واستبطان الأدلة على وجود الله تعالى ووحدانيته من ناحية أخرى.

يقول الأصفهاني: " قد رُكِبَ الله الإنسان تركيباً محسوساً معقولاً، على هيئة العالم وأوجده شبه كل ما هو موجود في العالم حتى قيل: الإنسان هو عالم صغير ومختصر للعالم الكبير؛ وذلك ليدل به على معرفة العالم، فيتوصل بهما إلى معرفة صانعهما، فغاية معرفة الإنسان لبارئه تعالى أن يعرف العالم، فيعلم أنه موجد، وأن له موجدًا ليس مثله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. ⁽⁴¹⁾

بل رأينا الأصفهاني يتأمل بنظرته الثاقبة سنة الله في خلقه لكل من العوالم الثلاثة الملائكة والبشر والحيوانات، ويبين أن اختلاف الخلقة بين هذه العوالم الثلاثة كان لحكمة إلهية تنسب ضمن الحكم العليا في الخلق وتهيئة كل مخلوق لما خُلق له مما يعطي برهانا عظيما على إرادة إلهية لا تعرف إكراها وقدرة إلهية مطلقة لا يعجزها شيء، وهذه الحكمة هي أن الله تعالى خلق الإنسان خلقة تهيؤه للدارين، لذا جمع له نوعين من القوى، الأولى قوى حيوانية كالتناسل والغذاء وقوى ملائكية كالعلم والعبادة والأخلاق الحميدة، وذلك ليستطيع القيام بمهامه التي أرادها الله له من عمارة أرضه وعبادته ⁽⁴²⁾.

ويعطينا الأصفهاني دليلا على هذا التأمل فيقول: " فإنه لو خُلق كالبهيمة معرّ عن العقل لما صلح لعبادة الله تعالى وخلافته، كما لم يصلح لذلك البهائم ولا لمجاورته ودخول جنته. ولو خلق كالملائكة معرّ عن الحاجة البدنية لم يصلح لعمارة أرضه كما لم يصلح لذلك الملائكة حيث قال تعالى في جوابهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، فافتضت الحكمة الإلهية أن تُجمع له القوتان ⁽⁴³⁾.

لقد كان ذكر الوحي الإلهي للملائكة واختلاف خلقتهم عن الخلقة الإنسانية تأسيسا للوعي بالسنن الإلهية في الخلق وعدم تجاوز كل خلق ما خُلق عليه؛ لذا كان من مظاهر الجهل بالحكمة الإلهية التنكر لهذه السنن والتصرف وفق ما يخالفها كما سجل لنا ابن الجوزي مسالك تطبيقية لهذا التنكر حيث حكى عن أقوام خالفوا طبيعة الخلقة الإنسانية، فمنهم من أقام في الجبال يأكل البلوط، فأصابه القولنج ⁽⁴⁴⁾، ومنهم: من كان لا يتقوت إلا الباقلاء والشعير: فأوجبت هذه الأفعال أمراضا في البدن، وترقت إلى إفساد العقل، واتفق لهم قلة العلم؛ إذ لو عملوا لفهموا أن

الحكمة تنهى عن مثل هذا؛ فإن البدن مبني على أخلاق، إذا اعتدلت وافقت السلامة، وإذا زاد بعضها وقع المرض وأكثر هؤلاء مرضوا، وتعجل لهم الموت.⁽⁴⁵⁾

بعد أن استعرضنا الأبعاد المعرفية للإيمان بالملائكة نستعرض في المبحث التالي الأبعاد السلوكية انطلاقاً من العلاقة المتجدرة بين المعرفة والسلوك.

المبحث الثالث: الأبعاد السلوكية للإيمان بالملائكة من المنظور الدعوي

إن هناك أموراً ثلاثة نود التأكيد عليها في بداية حديثنا عن الأبعاد السلوكية للإيمان بالملائكة وهي ما يلي:

الأمر الأول: أن الله تعالى لم ينزل رسالته لتكون مجرد قضايا معرفية تغرس في القلب أو ترسم في الذهن دون أن يكون لها مردود سلوكي يغير الواقع الإنساني، بل إننا وجدنا لهذه القضايا أبعاداً سلوكية تتمحور حولها كافة أنشطة الوجود الإنساني.

الأمر الثاني: أنه حين كانت المهمة العظمى للدعوة إلى الله تبليغ هذه الرسالة بشمولية أبعادها كان لا بد من تأمل ثاقب في الأبعاد السلوكية للمركز العقدي.

الأمر الثالث: أننا حين نتأمل الأبعاد السلوكية المتعلقة بالملائكة في ضوء الوحي الإلهي نجد أنها أبعاد تلمس العديد من أوجه الحياة الإنسانية، وأنها تأخذ حيزاً لا يمكن إغفاله من التأصيل الأخلاقي العام الذي جاء به الإسلام، ويمكن أن نبين ذلك من خلال ما يلي:

المطلب الأول: تأسيس آليات فعالة لترشيد العلاقات الإنسانية.

لقد أسس الإسلام منهجاً متكاملًا في بناء العلاقات الإنسانية وربطها برباط عقدي وتشريعي، وحين تقرر أن هناك أبعاداً سلوكية للإيمان بالملائكة فإن من صور تلك الأبعاد ما جاء ترشيدها لهذه العلاقات، لذا رأينا ذكر الملائكة في الوحي الإلهي يأتي مرتبطاً بالعديد من سبل تحقيق الوثام الإنساني، ومن تلك السبل على سبيل المثال الدعاء للغير والاستغفار له فنجد في هذا الصدد قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ (غافر: 7).

قال الرازي: اعلم أنه ثبت أن كمال السعادة مربوط بأمرين: التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، ويجب أن يكون التعظيم لأمر الله مقدماً على الشفقة على خلق الله فقوله (يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به) مشعر بالتعظيم لأمر الله، وقوله (ويستغفرون للذين آمنوا) مشعر بالشفقة على خلق الله. (46)

ويقرر المنهج النبوي هذا الارتباط أيضاً بقوله ﷺ: " الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه، ما لم يحدث، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه " (47).
وقوله ﷺ: " ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلا قال الملك: ولك بمثل " (48)

وتأتي رواية الإمام أحمد لتبين لنا كيف أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يجعلون من ذكر المنهج النبوي لهذا الارتباط بين الملائكة والعلاقات الإنسانية واقعا تطبيقيا ملموسا حيث كانوا يستحضرونه في تلك العلاقات، فعن صفوان بن عبد الله بن صفوان - وكانت تحته الدرداء - قال: أتيت الشام فدخلت على أبي الدرداء فلم أجده ووجدت أم الدرداء، فقالت: تريد الحج العام؟ قال: قلت: نعم، فقالت: فادع لنا بخير، فإن النبي ﷺ كان يقول: " إن دعوة المسلم مستجابة لأخيه بظهر الغيب، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير قال: آمين، ولك بمثل " فخرجت إلى السوق، فألقى أبا الدرداء، فقال لي مثل ذلك، يآثره عن النبي ﷺ. (49)

وحين كان توقيف الآخر واحترامه من أعظم لبنات بناء العلاقات الإنسانية الرشيدة فإن الملائكة أعطتنا أنموذجا لهذا التوقير كما جاء عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعا في بيتي، كاشفا عن فخذه، أو ساقه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له، وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ، وسوى ثيابه - قال محمد: ولا أقول ذلك في يوم واحد - فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تحتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تحتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة». (50)

قال النووي: المراد من استحياء النبي ﷺ والملائكة من عثمان، توقيرهما وتعظيمهما له. (51)

وحين كانت تحية الإسلام من آليات التواصل الإنساني في الإسلام كما قال أبو حاتم رحمه الله: "الواجب على العاقل أن يلزم إفشاء السلام لأن من سلم على عشرة كان له عتق رقبة، والسلام مما يذهب إفشاؤه بالمكث من الشحناء وما في الخلد من البغضاء ويقطع الهجران." (52)

حين كانت تحية الإسلام كذلك فإننا رأيناها حاضرة في ثنايا الحديث النبوي عن الملائكة حيث كان رد الملائكة على آدم عليه السلام بتلك التحية التي ستصبح شعارا له ولأمته كما دل عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا، ثم قال: اذهب فسلم على أولئك من الملائكة، فاستمع ما يحبونك، تحيتك وتحية ذريتك، فقال السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن" (53)

ومن ذلك أيضا ما جاء عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ، قال لها: "يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام"، فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى، تريد النبي ﷺ." (54)

وتأتي عيادة المرضى لتشكّل أنموذجا من نماذج الرحمة الإنسانية التي جعلها الإسلام علاقة تكافلية تجبر حالة من حالات الضعف الإنساني، ويأتي معها ذكر الملائكة تأكيداً على قيمة هذه الآلية الأخلاقية، لذا جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: (ما من رجل يعود مريضاً ممسياً، إلا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة، ومن أتاه مصباحاً خرج معه سبعون ألف ملك، يستغفرون له حتى يمسي، وكان له خريف في الجنة). (55)

إننا ينبغي أن نقرأ هذا البعد السلوكي لذكر الملائكة في ضوء المنهج الإسلامي العام الذي يجعل إحدى مفرداته إصلاح العلاقات الإنسانية، وذلك للاعتبارات التالية:

● كونها ضرورة من ضروريات تحقيق إحدى غايات الوجود الإنساني على الأرض وهي تعميرها؛ إذا لا عمران للأرض بعلاقات إنسانية تقوم على نمط صراعي بدلاً من نمط تآلفي.

● كونها سبيلاً من سبل تخفيف حدة الإطار المادي الذي تقولبت فيه الحياة المعاصرة حتى أوشك الوجود الإنساني أن يكون وجوداً مادياً مجرداً من طاقته الروحية الوجدانية.

● كونها آلية فعالة تأتي في سياق تناقضي مع فلسفة الصراع التي خلفت مآسي لم تعرف البشرية لها مثيلاً.

● كونها سبيلاً من سبل الدعوة إلى هذا الدين، وبيان سمة عالميته الزمانية والمكانية.

المطلب الثاني: تقرير مبدأ المسؤولية بأنماطه القيمة.

من المبادئ التي يتأسس عليها النظام الأخلاقي الإسلامي مبدأ المسؤولية وهي تعني تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله في الدرجة الأولى وأمام ضميره في الدرجة الثانية وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة⁽⁵⁶⁾.

ومن الأصول التي تؤسس لهذا الركن الأخلاقي ما جاء عن عبد الله، قال قال النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول، فالإمام راع وهو مسئول، والرجل راع على أهله وهو مسئول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسئولة، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول»⁽⁵⁷⁾.

ولم يخل ذكر الملائكة في الوحي الإلهي من إعطاء قدوة عملية للمسلم في القيام بالمهام التي يوكل بها على خير وجه.

وذكر السيوطي أن الملائكة على القول المحمل ثلاثة أضرب: ضرب تتعلق مهامهم بالأجرام السماوية، وضرب تتعلق مهامهم بالأركان الهوائية، وضرب تتعلق مهامهم بالأشياء

الأرضية، وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ (التَّائِيَات: 5)، فالذين تتعلق مهامهم بالأجرام السماوية هم المقربون المعنيون بقوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (النِّسَاء: 172)، وأما الضرب الذين تتعلق مهامهم بالأركان الهوائية فكالذي يزجي السحاب وكالذي يأتي بصوت الرعد، والضرب الذي تتعلق مهامهم بالأرض كالمملك الذي ينفخ الروح في الجنين، وكالربيع والعيتيد.⁽⁵⁸⁾

وقد وصف الله تعالى الملائكة في قيامهم بهذه المهام بأنهم لا يفرطون فيها فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ (الأنعام: 61).

قال القرطبي: أي لا يضيعون ولا يقصرون، وقال أبو عبيدة: لا يتوانون⁽⁵⁹⁾.

وأعطانا ذكر الملائكة في ثنانيا السنة النبوية دلالة على الحرص العظيم على القيام بالمهام لدرجة التسابق على ذلك كما جاء عن رفاعه بن رافع الزرقى، قال: "كنا يوماً نصلي وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة قال: سمع الله لمن حمده"، قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، فلما انصرف، قال: «من المتكلم» قال: أنا، قال: «رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أول»⁽⁶⁰⁾.

إن هذه المهام العظيمة التي وكل بها الملائكة تعطينا العديد من الدلالات، وهي كالتالي:

- 1 - أنهم مخلوقات من مخلوقات الله تعالى مروبون له، وأن الذين اتخذوهم آلهة من دونه قد اختلت عقولهم فلم يفرقوا بين خالق ومخلوق.
- 2 - أن مهام الملائكة ليست منفصلة عن طبيعة الوجود الإنساني سواء أكان ذلك في الدنيا أم في البرزخ أم في الآخرة مما يدل على ضرورة التأمل في العلاقة بين هذا الخلق العظيم والإنسان.
- 3 - أن في إيكال هذه المهام العظيمة للملائكة تقوية لعزيمة المسلم في المهام الموكلة إليه، وزادا للخطاب الدعوي في تأسيس الفعالية الحضارية للأمة.

المطلب الثالث: تقرير وسيلتي الترغيب والترهيب بتأثيراتهما التربوية

تتعدد الوسائل التي يحقق بها المنهج الأخلاقي في الإسلام أهدافه، ومن أبرز هذه الوسائل وسيلتا الترغيب والترهيب حيث تعدان صورة من صور الارتباط الجلي بين هذا المنهج والطبيعة البشرية.

وإذا كان ما فعله المنهج الأخلاقي الإسلامي من التغيير الاجتماعي للعرب وغيرهم يعد أمراً عظيماً فإن وسائل هذا المنهج وآلياته كان لها دور مهم في إحداث هذا التغيير.

"من أعظم ما أتى به القرآن الكريم في شأن التربية، تربية الكبار من قبائل العرب، وتلين قلوب الذين كان لديهم الاستعداد الدفين منهم لقبول هذه التربية الإسلامية والتأثر بها والدخول في الدين الجديد المنزل إليهم من السماء؛ حيث نجد القرآن المكّي بما فيه من الترغيب والترهيب يؤثر في نفوسهم ويجذبهم جذباً من مهاوي الضلال إلى مدارج الهداية، فانقبلوا بنعمة الله وفضله من أشداء في الظلم والكبر إلى أشداء في العدل والرحمة.⁽⁶¹⁾

وحين نتأمل ذكر الملائكة في ثنايا الوحي الإلهي نجد أن ذكرهم قد جاء ضمن التأسيس لهذا الأسلوب، فمن الترغيب قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ أَلَسَيِّئَةُ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ۚ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَرْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۖ﴾ (الرعد: 22-24).

قال الطبري: وتدخل الملائكة على هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه صفتهم في هذه الآيات الثلاث في جنات عدن، من كل باب منها، يقولون لهم: (سلام عليكم بما صبرتم) على طاعة ربكم في الدنيا⁽⁶²⁾.

وقال تعالى مرغباً في تزكية المعتقدات والأفعال والأقوال: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّيْهُمْ أَلْمَلِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَذْخَلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التحل: 32).

وقد ذكر القرطبي عدة أقوال في معنى الطيب هنا منها الطهارة من الشرك، ومنها الصلاح، ومنها تركية الأفعال والأقوال، ومنها طيب النفس، ومنها يسر الوفاة، وأما تسليم الملائكة فمن معانيه تبشيرهم بالجنة لأن السلام يُعدُّ أماناً⁽⁶³⁾.

وجاء ذكر الملائكة ترغيباً في حضور مجالس الذكر، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: "إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة، فضلاً يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضاً بأجنتهم، حتى يملئوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، قال: فيسألهم الله عز وجل، وهو أعلم بهم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض، يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك، قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك، قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا، أي رب قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك، قال: ومم يستجيرونني؟ قالوا: من نارك يا رب، قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا، قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك، قال: فيقول: قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا، قال: فيقولون: رب فيهم فلان عبد خطاء، إنما مر فجلس معهم، قال: فيقول: وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم." ⁽⁶⁴⁾

وفي الترهيب من النار يأتي ذكر الملائكة الذين يتولون عذابها كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التَّحْرِيم: 6).

قال النسفي: " {عليها} يلى أمرها وتعذيب أهلها {ملائكة} يعني الزبانية التسعة عشر وأعوانهم {غِلَاظٌ شِدَادٌ} في أجرامهم غلظة وشدة، أو غلاظ الأقوال شداد الأفعال⁽⁶⁵⁾.

بل نجد في بعض النصوص جمعاً بين الوصيلتين أعني الترغيب والترهيب كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً"⁽⁶⁶⁾.

ولو أردنا قراءة هذه الوسيلة في السياق الدعوي فيمكن أن نذكر الأمور التالية:

- تدبر هذه النصوص التي ارتبط فيها ذكر الملائكة بوسيلتي الترغيب والترهيب يمد الخطاب الدعوي بزيادة تأصيلي لوسائل الدعوة، تلك الوسائل التي تعد جزءاً لا يتجزأ من خطاب دعوي رشيد يدرك خصائص الطبيعة البشرية، ويعد آلية من آليات التغيير الأخلاقي في الواقع المعاصر.
- إن الوعي بهذه الوسائل الدعوية وعرض القضايا العقدية والتشريعية والأخلاقية في ضوءها يعد خطوة من خطوات استيعاب المنهج الدعوي العام الذي كان له أعظم الأثر في اتساع خارطة هذا الدين.
- استيعاب المنهج القرآني والنبوي في تقرير هذه الوسيلة الأخلاقية يحقق التوازن في خطاب القائمين بالخطاب الدعوي بحيث لا يتم التركيز على جانب واحد من الترغيب أو الترهيب لأن انعدام هذا التوازن يعطي نظرة مبتورة إلى حقيقة المنهج الأخلاقي الإسلامي.

المطلب الرابع: توسيع مفهوم الاقتداء بأبعاده القيمية

حين نستقرئ التراث الإسلامي في المجال التربوي نجد أن التشبه بالملائكة كان إحدى التوجيهات التربوية، ومن ذلك ما ذكره الغزالي من أن من استعان على العلم والعمل باستعمال كافة قواه وأعضائه فإنه قد تشبه بالملائكة فحري به أن يلحق بهم، وأن يسمى ربانياً وملكاً كما في قول صواحبات يوسف عليه السلام: ﴿هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (يُوسُف: 31) (67).

وقال ابن مسكويه: "من رضي لنفسه بتحصيل اللذات البدنية وجعلها غايته وأقصى سعادته فقد رضي بأخس العبودية لأخص الموالى. لأنه يصير نفسه الكريمة التي يناسب بها الملائكة عبداً للنفس الدنيئة التي يناسب بها الخنازير والخنافس والديدان وخسائس الحيوانات التي تشاركه في هذا الحال" (68).

وذكر الماوردي أن الله تعالى ركب الملائكة من عقل بلا شهوة، وركب البهائم من شهوة بلا عقل، وركب ابن آدم من كليهما؛ فمن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته على عقله فهو شر من البهائم⁽⁶⁹⁾.

وكان أويس القرني يقول: لأعبدن الله تعالى عبادة الملائكة. فيقطع ليلة قائما، وليلة راکعا، وليلة ساجدا⁽⁷⁰⁾.

إن ما كان يفعله أويس كان من باب إعطاء النفس فرصة لتستزيد من الشعور بالسعادات الروحانية والتي هي سعادات باقية دائمة عالية شريفة تجذب النفس من حضيض البهيمية إلى أوج الملكية⁽⁷¹⁾.

وحين ننظر إلى ذكر الملائكة في الوحي الإلهي نجد أن من مقاصد ذكرهم أن يكونوا قدوة للبشر فيما هو مجال للاقتداء، ومن أعظم تلك المجالات المجال العبادي، والذي أسس له المنهج الإسلامي تحت مفهوم الطاعة حيث عرفها الكفوي تعريفاً شاملاً بأنها فعل المأمورات ولو ندباً، وترك المنهيات ولو كراهة.⁽⁷²⁾

وقد بين الفخر الرازي أن الله تعالى بين عظم طاعة الملائكة من وجوه:

الأول: قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (البقرة: 30)، وقال في موضع آخر: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّاقُونَ﴾⁽⁷³⁾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿ (الصافات: 165-166)، فالله تعالى لم يكذبهم في قولهم، فدل على مواظبتهم على عبادته تعالى.

الثاني: مسارعتهم إلى امتثال ما أمر الله به تعظيماً له كما دل عليه قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (الحجر: 30).

الثالث: أنهم لا يقدمون على فعل شيء سوى بأمره تعالى كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنبياء: 27)⁽⁷³⁾.

• وما ذكر في ذلك أنهم ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحریم: 16) أي: لا يخالفون الله في أمره الذي يأمرهم به وينتهون إلى ما يأمرهم به ربحم⁽⁷⁴⁾.

• وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التَّحَلُّ: 50)

قال الرازي: فقوله: (ويفعلون ما يؤمرون) يتناول جميع فعل المأمورات وترك المنهيات لأن المنهي عن الشيء مأمور بتركه.

• وقال تعالى: ﴿إِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ (فُصِّلَتْ: 38).

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: فإن استكبروا يا محمد هؤلاء الذين أنت بين أظهرهم من مشركي قريش، وتعظموا عن أن يسجدوا لله الذي خلقهم وخلق الشمس والقمر، فإن الملائكة الذين عند ربك لا يستكبرون عن ذلك، ولا يتعظمون عنه، بل يسبحون له، ويصلون ليلاً ونهاراً، (وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ) يقول وهم لا يفترقون عن عبادتهم، ولا يملون الصلاة له." (75)

وأعطانا النبي ﷺ صورةً لمدى الارتباط العظيم بين الملائكة والمنحى العبادي، وذلك في قوله ﷺ: إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ (76).

إن الاقتداء بالملائكة فيما هو مجال للاقتداء يمكن أن نقرأه في السياق الدعوي من خلال النقاط التالية:

• إن القدوة وسيلة محورية في المسيرة الدعوية حيث إنها تمثل الإطار الذي ينقل الميراث الأخلاقي من الأجيال السابقة للأجيال اللاحقة، مما يجعل هذا الميراث واقعا متجسدا بدلا من أن ينحصر في قلبه النظري، لذا فالبحث في روافد هذه الوسيلة هو في الحقيقة بحث تتجذر علاقته بالسياق الدعوي.

• أن هناك إشكاليات تكتنف توظيف هذه الوسيلة الأخلاقية في الواقع الدعوي المعاصر مما يحتم ترتيب أولويات العرض لمفردات هذه الوسيلة، ولا شك أن ما ذكره القرآن والسنة له الأولوية.

- أن التأكيد على انطلاق القدوة مما أصله الوحي الإلهي كتابا وسنة ومن مرتكزات هذا الدين العقديّة والتشريعية والأخلاقية يؤسس لاعتزاز الأمة بأصولها المعرفية والأخلاقية.

الخاتمة:

أولاً: نتائج البحث

- 1 - يعد عرض الأبعاد المعرفية لقضايانا العقديّة عامّة ولركن الإيمان بالملائكة خاصّة برهاناً على انعدام إشكالية الدين والعلم في الإسلام، تلك الإشكالية التي برزت في التاريخ الفكري لبعض الأديان، وأضحّت تمثل الحجة في تهميش الإطار الديني.
- 2 - حين كانت الكتابة تمثل ركناً ركيناً في بنية المعرفة فإننا وجدنا ذكر الملائكة في القرآن والسنة لم يخل من إشارة إلى هذه المفردة المعرفية.
- 3 - ينبغي أن نقرأ إكثار الوحي الإلهي من ذكر الارتباط بين الملائكة وأدوات المعرفة في إطاره العام حيث كانت هناك ندرة في الإطار المعرفي قبل الإسلام ليس لدى الأمة العربية فحسب بل لدى الأمم جمعاء.
- 4 - تندرج قضية الإيمان بالملائكة ضمن القضايا التي تبرهن على عدم انحصار المعرفة في العقل أو الحس لأن الملائكة عالم غيبي لا تخضع معرفته للقوانين العقلية ولا للمحددات الحسية بل يتلقى معرفته من الوحي الإلهي.
- 5 - حين نتأمل حديث الوحي الإلهي عن الملائكة نجد أن تقرير السنن الإلهية كان إحدى أبرز الدلالات التي يمكن أن تسبب منه حيث قرر اختلاف أصل الخلقة الملائكية عن أصل الخلقة البشرية.
- 6 - الأبعاد السلوكية المتعلقة بالملائكة في ضوء الوحي الإلهي أبعاد تلمس العديد من أوجه الحياة الإنسانية وتأخذ حيزاً لا يمكن إغفاله من التأصيل الأخلاقي العام الذي جاء به الإسلام.

7 - من الأبعاد السلوكية لذكر الملائكة في الوحي الإلهي أنه أتى مرتبطا بالعديد من سبل تحقيق التعايش الإنساني.

8 - مهام الملائكة ليست منفصلة عن طبيعة الوجود الإنساني سواء أكان ذلك في الدنيا أم في البرزخ أم في الآخرة مما يدل على ضرورة التأمل في العلاقة بين هذا الخلق العظيم والإنسان.

ثانيا: التوصيات

- 1 - عمل مؤتمر علمي يعالج الأبعاد المعرفية والسلوكية للمرتكز الغيبي في الإسلام.
- 2 - إعداد مزيد من الدراسات التي تربط بين فلسفة العلم في الإسلام ومنطلقاته العقديّة والتشريعية.

قائمة المصادر والمراجع:

- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1417هـ 1996م
- أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، 1986م
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، تحقيق: محمد حسين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1419هـ.
- أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة.
- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرأغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، بيروت، دار الكتب العلمية، (1980م)
- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرأغب الأصفهاني، تفصيل الشأئين وتحصيل السعادتین، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1983م
- أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تقييد العلم، بيروت، دار إحياء السنة النبوية.
- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة.
- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1392هـ
- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1384هـ - 1964م
- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ط3، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ
- أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، دار الكتب العلمية، (1985م)
- أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيثاني الحنفي بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسُورْجُردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: مختار أحمد، ط1، الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي بالهند، 1423هـ - 2003 م
- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، 1379هـ.
- أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ط1، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، (1365هـ - 1946م)

- أيوب بن موسى الحسيني القرمي الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، بيروت، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، التبصرة، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، (1406هـ - 1986م)
- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، صيد الخاطر، تحقيق: عامر بن علي ياسين، دار ابن خزيمة، ط1، (1997م)، ص694
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، دار الساقى، 2001م
- زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحداي ثم المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط1، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، 1356هـ
- سليمان دنيا، مصر، التفكير الفلسفي الإسلامي، مكتبة الخانجي، 1967م
- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الحباثك في أخبار الملائك، تحقيق: محمد السعيد، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1985م
- كمال الدين عبد الغني، من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي، ط1، دار المعرفة الجامعية
- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، بيروت، دار الكتب العلمية.
- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ، وسننه وأيامه). تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، (1422هـ)
- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 2000 م
- محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبُد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الكتب العلمية.

(1) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1417هـ 1996م، 417/3

(2) أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي 123/15

(3) المرجع السابق 123/15

(4) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُو جردى الخراساني، أبو بكر البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: مختار أحمد الندوي، ط1، الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي، 1423هـ - 2003 م، 296/1.

(5) الرازي، التفسير، 108/7

(6) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، 98 /4

- (7) الرازي، التفسير، ج7، ص108
- (8) ينظر: الرازي، التفسير، 384/2
- (9) ينظر: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط3، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (1420هـ)، 399/2
- (10) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: محمد حسين، تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1419هـ، 372/7
- (11) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط3، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (1420هـ)، 330/29
- (12) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، (1420هـ - 2000م)، 842
- (13) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، القاهرة، دار الكتب المصرية، (1384هـ - 1964م)، 175/16
- (14) الرازي، مفاتيح الغيب 78/31
- (15) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب الاستماع إلى الخطبة، 11/2، رقم 929 (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ، وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ)
- (16) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تقييد العلم، بيروت، دار إحياء السنة النبوية، ص114
- (17) المرجع السابق ص114
- (18) المرجع السابق، ص114
- (19) أخرجه الترمذي، أبواب العلم، باب فضل العلم، ج3 ص317 رقم 3641 (سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، ط2، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1395هـ - 1975م)
- (20) ينظر: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، بيروت، دار الكتب العلمية، 63/1
- (21) ينظر: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مقبذ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الكتب العلمية، ص33
- (22) ينظر: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، 12/1
- (23) ينظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، دار الساقى، (1422هـ/ 2001م)، 11/15
- (24) سليمان دنيا، التفكير الفلسفي الإسلامي، مصر، مكتبة الخانجي (1387هـ - 1967م)، ص307.
- (25) الرازي، مفاتيح الغيب، 273/2
- (26) ينظر: المرجع السابق 243/1
- (27) ينظر: المرجع السابق 625/27
- (28) ينظر: المرجع السابق ص22
- (29) المرجع السابق 635/27

- (30) أخرجه مسلم، كتاب: الزهد والرفائق، باب في أحاديث متفرقة، 4/2224، رقم 2996
- (31) محمد الأمين بن عبد الله الأزمي العلوي الحريري الشافعي، الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم، ط1، دار المنهاج، 1430هـ - 2009م، 26/431
- (32) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، (1387هـ)، 14/319
- (33) ينظر: المرجع السابق 14/321
- (34) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى، 1/158، رقم 174، (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي)
- 35 ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين 4/121
- (36) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 27/567
- 37 أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام 4/206، رقم 3634
- 38 ينظر: ابن حجر، فتح الباري، 6/309
- 39 أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في الجهمية، 4/222، رقم 4727
- 40 ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 2/387
- 41 الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص21
- 42 ينظر: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، بيروت، دار مكتبة الحياة، (1983م)، ص37
- 43 المرجع السابق ص37
- 44 مرض معوي سببه التهاب القولون.
- 45 جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، صيد الخاطر، تحقيق: عامر بن علي ياسين، دار ابن خزيمة، ط1، (1997م)، ص694
- (46) الرازي، مفاتيح الغيب، 27/489
- (47) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب الحدث في المسجد، 1/96، رقم 445
- (48) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهور الغيب 4/2094، رقم 2732
- (49) أخرجه أحمد في مسنده، تممة مسند الأنصار، حديث أبي الدرداء، 36/39، رقم 21707
- (50) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه، 4/1816، رقم 2401
- (51) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط3، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 159/15
- (52) محمد بن حبان الدارمي، روضة العقلاء، ص60
- (53) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، 4/131، رقم 3326.
- (54) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، 4/112، رقم 3217.

- (55) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب الجنائز، 492/1، رقم 1264 (المستدرک على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، (1411 - 1990م)
- (56) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 44/1
- (57) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، (1387هـ)، 44/1
- (58) ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الحائث في أخبار الملائك، تحقيق: محمد السعيد، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، (1405هـ - 1985م)، 276/1.
- (59) أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 138/12
- (60) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب فضل اللهم ربنا لك الحمد، 159/1، رقم 799
- (61) كمال الدين عبد الغني، من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي، ط1، دار المعرفة الجامعية، (1419هـ / 1998م)، ص43
- (62) تفسير الطبري، 491/23
- (63) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب الحدث في المسجد 96/1، رقم 445
- (64) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل مجالس الذكر، 2069/4، رقم 2689
- (65) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تفسير النسفي أو مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، ط1، بيروت، دار الكلم الطيب، (1419هـ - 1998م)، 506/3
- (66) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: {فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى، فسنيسره للعسرى} [الليل: 6] «اللهم أعط منفق مال خلفاً»، 15/2، رقم 1442
- (67) ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، 9/3
- (68) أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، بيروت، دار الكتب العلمية، (1985م)، ص37
- (69) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، دار مكتبة الحياة، (1986م)، ص31
- (70) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، التبصرة، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، (1406هـ - 1986م)، ص53
- (71) ينظر: الرازي، فخر الدين، المطالب العالية من العلم الإلهي، تحقيق أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي، ط1، 1407هـ. 1987، 39/1.
- (72) انظر: أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ص583
- (73) الطبري، تفسير الطبري، 492/23
- (74) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 387/2
- (75) الطبري، تفسير الطبري 474/21
- (76) أخرجه الترمذي، أبواب الزهد، باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً»، 556/4، رقم